مجلة جامعة الملك سعود، م ١، العلوم التربوية (١، ٢)، ص ص ١٥٣ ـ ١٦٩ (١٤٠٩هـ /١٩٨٩م)

مناهجنا والتربية الإسلامية

محمد عثمان كشميري

أستاذ مساعد، قسم التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. إن مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة بذاتها لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها وهي أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة فيجب أن يكون تعليمها خاضعا لهذا المبدأ وهذه العقيدة. وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته فليس هو التعليم الإسلامي بل هو التعليم الأجنبي وليس هو البناء والتعمير بل هو الهدم والتخريب.

من دواعي الأسف أن غالبية النظام التعليمي السائد في معظم البلدان الإسلامية نظام متوارث عن عهود الاستعمار ولايزال يستمد أفكاره ويعالج موضوعاته من وجهة غربية صرفة لا تشير من بعيد أو قريب إلى الفكر الإسلامي أو إلى علمائه فما تأثير هذا على طلابنا وموجهي التربية في بلادنا؟

يتعرض البحث أولا إلى وضع الحضارة الغربية وموقفها من الإنسانية وتأثير ذلك على طبيعة الأنظمة التعليمية الإسلامية إن هي أخذت مبادىء الحضارة الغربية وطبقتها.

كذلك يتطرق البحث إلى وصف طبيعة النظام التعليمي وواقعه في البلاد الإسلامية ومدى ملاءمته للعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، والتعرف على الأسباب التي أدت إلى وجود مثل هذا النظام.

وفي الختام يحاول الباحث إيراد أهمية المنهج الإسلامي وضرورة وجود فلسفة تربوية إسلامية تتضمن جميع المواد الدراسية وأسلمة المعارف التي ترد إلى العالم الإسلامي من الغرب وذلك بترجمتها واختيار الأفضل منها واستبعاد الشاذ والغريب وما لا يلائم عقيدتنا وإسلامنا. وقد تضمن الختام عدة توصيات مقترحة نحو أسلمة المعرفة في العالم الإسلامي يجعلها عين الاعتبار في المنهج الإسلامي وهي كالتالي: الاهتمام بالقرآن الكريم؛ الاهتمام بالحديث والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي؛ الاهتمام باللغة العربية؛ الاهتمام بتدريب المعلم؛ إزالة الازدواج التعليمي؛ ترشيد ابتعاث أبناء المسلمين إلى الخارج؛ تدعيم مراكز البحث العلمي.

مقدمة

إن مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها، لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها، وهي أمة ذات مبدأ وعقيدة، ورسالة ودعوة، فيجب أن يكون تعليمها خاضعا لهذا المبدأ والعقيدة، وهذه الرسالة والدعوة و «التعليم» أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ، وتدين بهذه العقيدة، وتحمل هذه الرسالة، وتؤدي هذه الدعوة. وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته، ويخون في أمانته فليس هو التعليم الإسلامي بل هو التعليم الأجنبي وليس هو البناء والتعمير بل هو الهدم والتخريب، وأولى للبلاد الإسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثماره المادية فالأمية خير لها من التعليم الذي يرزأها في طبيعتها وعقيدتها [١، ص ص ٩-١٠].

إن قضية البحث حول أسلمة المعرفة تأخذ أشكالا ومظاهر واهتمامات متعددة أهمها قضية ازدواجية المعرفة وجمودها وتخلفها لدى الأمة الإسلامية وبالتالي التعليم الذي يقود إلى التحقق بها.

إن أسلمة المعرفة إنما تعنى في الحقيقة ذلك المجهود الذي يستوعب هذه العلوم داخل هيكل إسلامي يهدف استعمالها لجني أكبر مردود للمجتمع الإسلامي. إنها محاولة لفهم وربما لتبني كل ما هو جيد في هذه العلوم وإدماجه مع العلوم الإسلامية [٢، ص ٣٥]. وسوف نستعرض في هذا البحث حقيقة الواقع الإسلامي ومناهجه التربوية، والمشكلات التي تعترضه والمقترحات لتطويره.

الحضارة الغربية وموقفها من الإنسانية

في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها البشرية ــ الفترة التي يصل فيها الفزع إلى غايته، والقلق إلى أقصاه، يتبدى واضحا إلى أي مدى تخبطت البشرية حين ابتعدت عن الله وعن منهجه للحياة.

لقد تخبطت البشرية ما بين عبادة العقل وعبادة المادة وعبادة الحتمية التاريخية، والحتمية الاقتصادية، والحتمية الاجتماعية، إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التي يعبدها الناس

في هذا الجهل ليهربوا بها من عبادة الله. فكانت الشعوذة التي تفسد الأعصاب والنفوس، وكان العذاب الذي يمس الأفراد والجماعات وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب [٣، ص ٤٠].

لقد حققت الحضارة الغربية المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم. ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروح عليها ويرفه عنها ويسندها في وقت المحن لأنه يربطها بوجود الله. فقد قادت العالم إلى حربين شاملتين خلال ربع قرن، كما قادته إلى انقسام بين الكتلتين الشرقية والغربية، وإلى تهديد دائم بحرب ثالثة، وإلى اضطرابات في كل مكان، وإلى جوع وعرى وبؤس في ثلاثة أرباع المعمورة. وإن النظام العالمي كله اليوم في حالة ذعر واضطراب وبحث عن أسس جديدة وتنقيب عن زاد روحي يرد الإنسانية إلى ثقتها بالمبادىء الإنسانية [٣، ص ٣٤].

إن حضارة القرن العشرين قد أفقدت وأتلفت قداسة الوجود في النفوس وفي الثقافة وفي الضمائر. لقد أتلفت القداسة لأنها اعتبرتها شيئا تافها لا حاجة للإنسانية به. لقد انجرفت في إتلافها هذا بسبب منشأ ثقافتها التي يطلق عليها اليوم (العلمية) منذ عهد ديكارت. لقد حاولت أوروبا ونجحت في خطها الجديد هذا. ونجاحها قد يفسر لنا اليوم على المدى البعيد فشلها في الاستمرار عن البحث عن معنى الحياة، وتأكيد القيمة الكيفية. لقد نجحت في إخضاع كل شيء لمقاييس الكم، ولكن نجاحها يفسر بالتالي الأزمة التي تمر بها حضارتها التي فقدت كل مبررات وجودها لأنها أفقدت الوجود وقداسته [٣، ص ٣٦].

وبقدر ما تراكمت الإمكانيات الحضارية الكمية اضمحلت القاعدة الأخلاقية الروحية المعنوية التي تتحمل في كل مجتمع عبء الأثقال الاجتماعية والمادية، إذ لا بد من قاعدة روحية متينة حتى تتحمل هذه الأعباء، التي ترزح تحتها وهي في خضم الأشياء التي تنتجها التكنولوجيا. إن الإنسانية بشطرها المتخلف وبشطرها المتحضر، تعاني من هذه الأزمة الخطيرة، والتي هي أخطر أزمة في وجودها على سطح الأرض، ونحن باعتبارنا مسلمين وأمة تشاطر الإنسانية مصيرها، إذا أردنا أن نسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، فلا بد أن نرفع مستوانا إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي نرفع الحضارة بذلك إلى قداسة

الوجود إلى ربانية الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله [٣، ص ٤٠]

إن المشوار الحضاري للأمة الإسلامية طويل وصعب وتعترضه عقبات ومحاذير وتحيط به متاهات ومشكلات وتصحبه تحولات في السلوك والأخلاق وتغيرات في العادات وأساليب الحياة ولا بد للأمة الإسلامية أن تستعد لكل هذا إذ لا مناص منه. ولأن القضية خطيرة والأمر جد فإن على مثقفي المجتمع ومفكريه أن يمارسوا دورهم ويقوموا بما هو منتظر منهم من توعية وتبصير للمجتمع لتكوين المناخ الإسلامي الصحيح. إن عملية توعية المجتمع بما تتضمنه من ممارسات وتبعات تستدعي تضافر كل الجهود في المنزل والمدرسة والجامعة والمسجد [٤، ص ٣٧].

إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلة الحضارة ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها. . . وما الحضارات المعاصرة، والحضارات الضاربة في ظلام الماضي، والحضارات المستقبلة إلا عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر التاريخ. فلنعلن للدنيا بدء فجر جديد لحضارة القيم تتألف فيه أسس التطور المبني على العلم والإيمان وتقدير الإنسانية، لننفك من التيه المقفر الذي يعيش العالم المعاصر أسيرا له. . . تظللنا العقيدة ويغمرنا الإيمان [٤، ص ٤٠].

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [٥، سورة يوسف، آية ١٠٧].

واقع التعليم في العالم الإسلامي والعربي

يواجه العالم الإسلامي اليوم تحديا متصلا من الدول الصناعية وذلك لطبيعة الموقع الاستراتيجي للعالم الإسلامي وإلى ثروته البشرية والمادية. لقد أصبح حزام الدول الإسلامية ميدانا للتنافس المتصاعد بين القوى العديدة. إن نزاعات الحدود في المناطق المختلفة أصبحت غالبا موجهة لخلق أسواق حاضرة للأسلحة والذخائر لكي تبقى هذه

الـدول مرتبـطة ومنشغلة عن دفـع عجلة تقدمها أو رفع معدل نموها بحيث تظل تحت الخضوع الدائم والتأثير المستمر الواقع عليها من الدول المتقدمة. فضلا عن ذلك فقد ترك المستعمـر خلفـه في كثير من الدول الإسلامية نماذج من المؤسسات التعليمية التي تتسم بالثنائية والانقسام الحاد [٢، ص ٣٥].

«إن غالبية النظام التعليمي السائد حاليا في العالم الإسلامي نظام متوارث عن عهود الاستعـمار إنـه غير كفـء لبعث الشبـاب المسلم أو لمسـاعـدتـه في حل مشكلات الأمة الإسلامية. لقد أثبت ــ حقيقة ــ أن له إنتاجية مضادة ويحتاج إلى إصلاح جذري عنيف» [٢، ص ٣٦].

ولعـل المشكلة العظمى التي نواجهها هي تسليم الكثير، صراحة أو ضمنا، «بأن المسلمين، لكي يسايروا الركب العالمي ويلحقوا بعجلة التقدم، فإنه لا بد وأن يأخذوا بالمنهج الاجتماعي والاقتصادي الذي أفرزته الأمم التي سبقتهم على هذا الطريق، سواء بالغرب أو في الشرق. وأن تقليد هذه المدنيات هو السبيل إلى الخروج من مظاهر التخلف واللحاق بالأمم المتقدمة» [٦، ص ١٨٥].

«إن نظم التعليم في البـلاد الإسلامية اليوم، نظم تقوم على الازدواج التعليمي، بمعنى أن بكل بلد منها نظامين للتعليم، لا نظاما واحدا، فهنالك نظام يتخذ من الدين الإسلامي محورا له، سواء سمي هذا النظام بالنظام الديني أو النظام القديم، وهناك نظام ثان، يتخذ من العلوم الحديثة محورا له، سواء سمي هذا النظام بالنظام الحديث، أو بالنظام الغربي» [٧، ص ١٠٢].

والازدواج التعليمي ــ كما نعلم جميعا ــ وافد إلينا من الغرب، مع ما وفد إلينا منه، من مخترعات تقنية، ومن آراء وأفكار، كان يحكم علاقتنا بها، (الإحساس بالتخلف) الذي سيطر علينا فترة من الزمن، أول لقائنا بالغرب في العصور الحديثة. وفي الوقت الذي بدأت حدة الازدواج التعليمي فيه تخف في الغرب، بدأت هذه الحدة ذاتها تزيد في بلاد المسلمين، بفعل الاستعمار الغربي، الذي أراد ذلك لحاجة في نفسه.»

إن معظم أنظمة التعليم في البلاد العربية والإسلامية لاتزال تستمد أفكارها الرئيسة وتعالج موضوعاتها من وجهة نظر غربية صرفة لا تشير من بعيد أو قريب إلى الفكر الإسلامي أو إلى علمائه. فما تأثير هذا على طلابنا وموجهي التربية في بلادنا وخاصة من نعدّهم ليربوا لنا أجيالنا الناشئة؟ إن التفتح على كل التجارب الإنسانية النافعة، والاستفادة منها، والتفاعل معها من واقع الواثق بفكره وذاته وثقافته، أمر ضروري ومطلوب. ولكن لا بد أن يكون في حدود قيم ديننا وظروفنا وإمكانياتنا، ولا يقتلعنا من جذورنا الثقافية أو يشككنا في مقدرتنا وشخصيتنا الإسلامية العربية [٨، ص ٣٢].

«إن التعليم الذي نعطيه لأبنائنا في المدارس ليس مرتكزا على القاعدة الإسلامية ولا يستمد من الروح الإسلامية. ثم ماذا في حياتنا إلا القليل من بقايا الفكر الإسلامي والتصور الإسلامي والسلوك الإسلامي. ينبغي أن نكون صريحين مع أنفسنا وواقعنا بعيد بعدا كبيرا عن الإسلام وإن كانت فيه بين الحين والحين في بعض بلدان العالم الإسلامي بقايا من الإسلام» [٩، ص ٢٠].

إن نظمنا التعليمية السائدة في العالم الإسلامي تشكو من ضعف في غرس الفضيلة والعقيدة في الجيل الجديد. كما تشكو من تقصير في إعداد الناشئة للحياة المعاصرة لا سيما في حقل التقنيات وفي الاتصال بالحياة العملية والاقتصادية. إن نظمنا التعليمية السائدة ـ ومعظمها مستورد من الغرب ـ تجعل هدف التعليم حفظ المعلومات لاجتياز الامتحانات بدل أن تفسح للطالب المجال الكافي لهضم المادة والتفكير والتحقيق والتطبيق فالهدف هو المعلومات وليس الطالب [١٠].

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى، «لقد أهملت المراكز التربوية كلها جانب العاطفة والحب والإيمان واعتبرته من خصائص بعض النظم التي كانت محدثة دخيلة على الإسلام والتي تنافي في نظر بعض قادة التعليم ورجال الفكر روح الشريعة الإسلامية والطريقة السلفية، مع أنه حاجة من حاجات البشر ومطلب من مطالب الإسلام إذا نقى مما التصق به في العهود الأخيرة، وقد اتصف بهذا الجانب الرعيل الأول من المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولولا هذا الإيمان القوي والولوع والحب العميق وقوة العاطفة لما

ظهرت منهم هذه الروائع الإيمانية والبطولات التي لا نظير لها في تاريخ الأمم» [١، ص ٦٢].

«إن إهمال هذا الجانب قد جنى على نظامنا التعليمي جناية كبيرة وأفقده العمق والرقة والسمو، وقوة المقاومة وصلاحية الإبداع، وإشعال القرائح وتدفقها، فأصبح نظامنا التعليمي نظاما خشبيا جامدا لا حياة فيه ولا حركة، ولا نمو فيه ولا ازدهار، وأصبحت مراكزنا الثقافية وجامعاتنا الإسلامية مراكز حياة رتيبة جامدة يسود عليها الركود، ويهيمن عليها الجمود، وتتحكم فيها القوانين واللائحات» [١، ص ٦٣].

إن أهم نقاط الضعف التي جعلت تعليمنا يبتعد عن أصالته هو عدم اعتماد فلسفة تربوية مستمدة من فلسفتنا الحياتية الكلية لتوجيه البحث في العلوم المختلفة بنوعيها الطبيعي والإنساني، والعلاج يكمن في أسلمة هذه العلوم، وإعادة النظر في طرق البحث المستعملة في بعضها، ومن ثم يجب أن تدرس هذه العلوم بطريقة تساعد على بيان عظمة الخالق عز وجل وترسيخ إيماننا به، وإحكام سيطرتنا على الطبيعة والكون واستغلال ثرواتهما.

«كما أن هناك قضية أكبر ألا وهي مشكلة التغريب الثقافي الذي تتعرض له الأجيال الإسلامية، وهو تغريب ناجم عن التبعية للأجنبي، في الشرق والغرب فكرا وسلوكا، وعن الانجذاب إلى ثقافته، انطلاقا من فكرة شاعت ــ بتأثير الثقافة الأجنبية نفسها ــ قوامها أن هناك نموذجا ثقافيا واحدًا ووحيدًا هو النموذج الغربي، وأن كل ابتعاد عنه، عجز وتخلف. إن هذا التغريب، مازال يحول بيننا وبين أن نختار طريقنا الثقافي الإسلامي المتميز، اختيارا واعيا، وأن الخلاص منه وكسر التبعية للغرب، هما اللذان يمكناننا من أن نحقق التكامل بين ثقافتنا وثقافة سوانا، من دون عقد أو خوف أو رفض عاطفي. ذلك أن التضامن الحقيقي، والحوار الخصب بين الثقافات، هو الذي يتم في إطار عملها جميعها، من أجل رفض النموذج الذي يريد أن يستلبها كلها، وينفيها جميعا» [٧، ص ١١٦].

وقد عرفت البلاد العربية الأهداف الحقيقية لهذا التغريب، ولمستها لمس اليد، عن

طريق تجربة الجزائر مع الاستعمار الفرنسي، فلقد استهدفت استراتيجية التغريب التي ساقها المستعمر ــ كما هو معروف ــ العزل القسري للتراث العربي الإسلامي وطمس الهوية الثقافية الراسخة في الجزائر، والقضاء على اللغة العربية، لغة القرآن، وذلك عن طريق السعي إلى استئصال المناعة الإسلامية، والجذور الإسلامية، التي تقف وحدها عقبة كأداء، في طريق بلوغ الأهداف الاستعمارية [٧، ص ١٢٠].

ومما يزيد في خطورة التغريب، والتبعية، للنموذج الحضاري الأجنبي في الغرب والشرق، أن هذا النموذج قد وصل إلى طريق مسدودة، وفشل في بناء مجتمع جدير بالإنسان. وأن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والنفسية، التي يعاني منها هذا النموذج الحضاري، التي أطنب في الحديث عنها الغربيون أنفسهم أدى إلى فشله في علاج مشكلات العالم المتقدم نفسه، وإلى توسيعه للهوة القائمة بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية، وتعاظم اللامساواة بين الشعوب، واستغلال ثرواتها المادية والبشرية [١، ص ٦٦].

وإن الخلل الأساسي في هذا النموذج هو فشله في تحقيق التوازن بين التطور العلمي والتكنولوجي من جانب، والتطور الإنساني الروحي من جانب آخر، بحيث جعل الإنسانية أكثر تقدما في الظاهر، دون أن يجعلها أكثر سعادة، وبحيث نأى بها عن رسالتها الحقيقية، رسالة تسخير الكون لخدمة الإنسان، ولتحقيق المزيد من إنسانيته وقيمه [١، ص ٦٧].

إن الملجأ الحقيقي الذي يحمي الحضارة العالمية جملة، والحضارات القديمة الخاصة، هو في سعي الثقافات المختلفة إلى العودة إلى ذواتها، وينابيعها الأصيلة، لتبحث فيها عن طريق الخلاص وليتكون من تفاعل هذه الثقافات فيما بينها بعد ذلك، طريق جديد للإنسانية جمعاء. والثقافة الإسلامية التي جعلها الدين الإسلامي شاهدة على الناس ورحمة للعالمين، مدعوة خاصة إلى أن تعود إلى أصولها وينابيعها، حفاظا على ذاتها، وسعيا لهداية الإنسانية، بل إن ارتباطها بهويتها هو سبيلها إلى النجاح في معارك التحرير التي تخوضها ولا سيما مع العدو الصهيوني، ومع القوى الطامعة في خيراتها.

إن الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام وأسلمة المعرفة ليست مجرد دعوة إلى تراث ماض يجب الحفاظ عليه، بل هي دعوة إلى مصدر حيوي دينامي متجدد متطور على مر العصور والأزمان ويمتلك من المرونة في قواعده العامة المتعلقة بتنظيم الحياة ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان. فضلا عن ذلك، فإن هذا الرجوع سيكون ربطا لحاضرنا بماضينا، وتأصيلا لفكرنا الفلسفي والتربوي، وتأكيدا لشخصيتنا الثقافية والتربوية، وتحصينا لعقول أبنائنا ضد أخطار الاستشراق ودسائس أعداء الإسلام [٢، ص ٣٨].

الطرق والوسائل الواجب اتباعها نحو أسلمة المعرفة

وضع منهاج للتعليم الإسلامي

يعلم المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعليم، أن للعلوم والكتب روحا وضميرا، كالكائنات الحية، وهو باطن هذه العلوم، والروح السارية في الكتب، فالعلوم التي أنشأها الإسلام، وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الإيمان بالله، والتقوى والخشية لله، والفضيلة والإيمان بالآخرة. والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم، وعلى روحهم الجاهلية، وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوروبا الملحدة، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها، قد سرى فيها الإلحاد والجمود، والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط، وقلة التقدير لما لا يأتي تحت الحس والوزن، والعد التجربة، وما لا يحصل له لذه أو نفع محسوس في الأخلاق، وسرت هذه الروح في علومهم وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم [١، ص ١٠].

فلا يكون من الحكمة التعليمية، ومن النصح للمسلمين نقل هذه العلوم، والكتب المؤلفة فيها إلى النشء المسلم بروحها وضميرها، بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدوينا إسلاميا، وتؤلف فيها كتب مبتكرة، وتشيع بالروح الدينية، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين، بل تؤيده وتبعث اليقين والإيمان، وهكذا يجب أن تعمل مع التاريخ والجغرافيا، والعلوم الطبيعية، فلكل منها اتصال بالدين وكل منها مؤثر في الدين [١، ص ١٠].

والحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع، والسبك والترتيب، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مباديء اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية، أو الآداب الإنجليزية من روح الدين والإيمان، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي، ويكتب بقلم مسلم، ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه، ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم، وتكون البلاد الإسلامية حقا في عقلها وتفكيرها، وسياستها وماليتها وتعليمها [١، ص ١١].

بعض المقترحات التي يمكن تبنيها في نظامنا التعليمي

١) القرآن الكريم

على التربية الاهتمام بالقرآن الكريم وجعله مادة أساسية في المنهج، فكتاب الله العظيم الذي لا ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ هو أقوى شيء في تكوين العقل والأخلاق والنفوس، وهو يمد التلميذ بذخيرة لغوية تنفعه نفعا كبيرا في حياته العلمية، وبذخيرة من الأساليب التي لا يستطيع البشر الإتيان بها وبذخيرة من العقيدة والإيمان. ولقد أثبتت البحوث التي أجرتها إدارة التعليم على الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم في مساجد الأحياء، أن ٩٠٪ من هؤلاء الطلاب مبرزون في جميع دروسهم الأخرى بما فيها الرياضيات والعلوم والجغرافيا [١١، ص ٢٦٠].

لهذا فإنه يجب على الأمة الإسلامية رعاية مراكز تحفيظ القرآن والعمل على تعميمها بواسطة ربطها بالمساجد وإنشاء مدارس خاصة بها. وليس تدني مستوى الخريجين في العالم الإسلامي اليوم بصفة عامة في اللغة، والفكر، والعقيدة، والسلوك والقيم والأخلاق إلا نتيجة من نتائج حرمانهم من الثقافة القرآنية في الصغر، وتقليص مراكز تحفيظ القرآن التي كانت سائدة في الأحياء والقرى كالكتاتيب والمساجد، واستبدال ذلك بآيات متناثرة على مدى التعليم قبل الجامعي تحفظ لتنسى دون نطق سليم أو فهم رشيد [١٢، ص ١١٩].

وإذا أريد لأجيال المسلمين القادمة أن تحفظ من الانصهار تحت وطأة التحديات المعاصرة، فعلينا أن نعيد لمراكز تحفيظ القرآن الكريم مجدها وانتشارها، وجعل القرآن الكريم مادة أساسية في جميع مناهج التعليم النظامي، على مدى مراحله قبل الجامعي.

٢) الحديث والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

يجب أن يهتم المنهج الإسلامي بتدريس الحديث النبوي والسيرة الشريفة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لتعميق الإيمان وترسيخ العقيدة في نفوس التلاميذ باعتبار أن الحديث مكمل للقرآن ومفسر لآياته وأحكامه. كما أن دراسة السيرة النبوية وما احتوت عليه من مضامين عميقة وصور شامخة للإسلام، والتي هي أجمل شيء في الوجود التي ترقى إلى الأفئدة وتأخذ سبيلها إلى النفوس بغير شفيع ووسيط.

كما يجب أن يتضمن المنهج فصولا مختارة من تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم ليستشعر التلميذ تاريخ أمته ويستلهم ما خلفوه من تراث عامر بالبطولة ثر بالعطاء، وليتصور كذلك عمق إيمانهم ومحنتهم وحسن بلائهم وجهادهم وفتوحاتهم، وزهدهم واستقامتهم، وهو تاريخ يملأ القلب إيمانا وحماسة، ويشجع على التقليد ويرتقى بإنسانية الفرد من حب الذات والأنانية إلى الإيثار والتضحية والوفاء.

٣) الاهتمام باللغة العربية

يجب على المنهج الإسلامي العناية باللغة العربية لغة القرآن وجعلها مادة إجبارية في كل العالم الإسلامي لأنها مفتاح فهم القرآن والدين، وهي أساس التراث ووعاء الثقافة. إن فهم اللغة العربية والحذق بها هو الطريق إلى معرفة القرآن الكريم والتعمق في أسراره وأحكامه، لأن عروبة القرآن (أي نزوله بلسان عربي مبين) يحتم على كل مسلم أن يعرف اللغة العربية ويتمرس بها كما أن الإلمام بهذا يقود الأمة الإسلامية إلى الوحدة التي تطمح إليها.

كما أنه من واجب الدول الإسلامية دعم مراكز تعليم اللغة العربية في العالم أجمع وبين أبناء المسلمين الذين لا يحسنون التحدث بها. كذلك العمل على تنشيط وتوسيع الجهود الرامية إلى ترجمة أمهات الكتب في مختلف مجالات المعرفة. ففي عصر النهضة الإسلامية انفتحت الثقافة العربية على جميع الثقافات الأخرى دون أن تفقد شخصيتها الأصيلة كما اهتم العرب بتعليم اللغات الأجنبية ولكنهم أصروا على ألا يكون التعليم والبحث والكتابة بغير لغة القرآن الكريم اعتزازا بإسلامهم ولغتهم وحرصا على إشاعة

المعرفة وتوفيرها لجميع أبناء الأمة الإسلامية وعدم اقتصارها على نفر ممن يعرفون اللغة الأجنبية.

٤) الاهتمام بتدريب المعلم

تشترط التربية الإسلامية فيمن يقوم بدور المربي شروطا خاصة أهمها الصلاح والعلم والفن (أي الفهم لأساليب التربية وطرائقها وواجباتها، ولنفسية المتعلمين واستعداداتهم وملكاتهم).

فالصلاح وحده لا يصنع معلما، والعلم وحده لا يصنع مربيا، ولكن لا بد من هذه الشروط الثلاثة مجتمعة لتكوين المربي الناجح، ولا يمكن التنازل عن أي منها وذلك لأن المربي هو الذي يعد أجيال المستقبل. وأي نقص ظاهر فيه أو في سلوكه لا بد وأن ينعكس على تلك الأجيال مضاعفا متفاقما.

ومن هنا كان من الواجب التدقيق في اختيار المعلمين وحسن إعدادهم، خاصة أولئك الذين يقومون بمهمة التربية في مراحلها الأولى حيث تشكل شخصيات الصغار.

فلا يكفي أن يكون المربي متمكنا من مادته، ملما بأحدث النظريات التربوية، محبا للعمل، يجب أن يكون قبل كل شيء إنسانا مؤمنا ورعا صالحا مدركا لجسامة مسؤوليته متميزا بمحبته لطلابه وقدرته على اكتساب محبتهم وتقديرهم، وبالتالي سهولة الوصول إلى قلوبهم وعقولهم [١٢، ص ١٤٦].

فالجهد التربوي في الإسلام هو في أساسه جهد في مجال الدعوة الإسلامية، والإعداد لإقامة المجتمع الإسلامي الأمثل والمحافظة عليه وتطويره، فإذا لم يكن المربي مؤمنا بذلك ملما بتفاصيله، ملتزما بتعاليمه، فأنى له أن يربي جيلا مؤمنا عالما ملتزما.

وبما أن عملية إعداد المعلم تعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية التربوية فيجب أن تكون فلسفتها وأهدافها وأسسها ومحتواها وأساليبها ووسائلها ومناهجها هي تلك التي تميز التربية

الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أيضا يجب بذل كل تعاون في إقامة دورات التدريب المستمر لرفع مستوى المعلم بصفة عامة ولإعداده بصفة خاصة ليعمل في ضوء المفهوم الجديد الذي تنشده للتعليم وذلك لكي يتسنى له الفهم الصحيح ولكي يتمكن من المعرفة المطلوبة التي تيسر له رفع مستواه العلمي والثقافي والمسلكي بالقدر الكافي المتطور الذي يستطيع أن يغذي النشء بأسلوب يساير روح العصر ويتفق معه. فالمعلم هو الأداة الحقة التي ينفذ بها المنهج المقترح وإعداده بالمفهوم الجديد لنهجنا، هو الخطوة الأولى لضمان تنفيذه بنجاح، وألا تقتصر دراسة من يتخصصون في مواد الدين على هذه المواد وحدها بل يجب أن تمتد هذه الدراسة إلى الإحاطة بالعلوم الحديثة وهضمها، إذ بذلك يمكننا تطبيق واقعية الارتباط القائم بين مفاهيم إسلامنا، وهذه العلوم الحديثة. وبذلك يصبح المتخصصون في هذه المواد قادرين أن يحكموا على كل مفهوم حديث بما يتبين لهم نتيجة لهذه الدراسة بعد تفكير تحليلي وبحث منطقي، كما يجب أن يكون في توجيه إعداد مدرسي المواد الحديثة قدرا يمكنهم من تفهم مواد الدين لكي يستشعروا قدرة الله في ظواهر الكون والحياة وأن يعرفوا أن العلم يقود للإيمان وأن يغرسوا هذا المفهوم في طلابهم كي يتعودوه وينشأوا عليه ويعملوا وفقا لمنهجهم.

٥) إزالة الازدواج التعليمي

إن عملية تقسيم التربية إلى دينية ودنيوية قد انتقلت عدواها إلى بلاد المسلمين من النظم التربوية العلمانية، فالإسلام إضافة إلى اهتمامه الزائد بالتخصص في الدراسات الإسلامية، إلا أنه في تاريخه الطويل لم يعرف هذا الازدواج التعليمي ولم يهمل أي جانب من جوانب المعرفة الإنسانية، وهذا هو سر ما نراه من معرفة تامة بعلوم الدين لدى علماء الطبيعة والكيمياء والطب والجغرافيا والتاريخ المسلمين.

والفصل بين المعارف إلى دينية ودنيوية قد عزل العلوم الدينية عن ركب الحياة ومشكلاتها وتطورها مما زهّد الناس فيها ودعاهم إلى هجرها كما عزل العلوم الدنيوية عن الحكمة وجعلها تدور في الأطر المادية للأشياء فقط. إنه لا يمكن رفض المعارف فهي تراث الإنسانية كلها ووسيلتها إلى عمران الحياة على الأرض، وأيضا لا يمكن فرضها بصورتها

الحالية التي تنطلق من منطلق إلحادي منكر وأسس علمانية صرفة.

والحل يكمن في أن تقوم جميع مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي على تحرير التعليم في كل مراحله من آثار التبعية الفكرية والثقافية بتكوين هيئات ومراكز بحث وتخطيط توفر لها ما تحتاج إليه في ميدان إعادة صياغة المناهج بما يعيد إليها إسلاميتها ويكفل لها البعد عن العلمانية والإلحاد.

كذلك إيجاد التقارب بين العلماء الشرعيين والعلماء الطبيعيين والعمل على إعادة فحص شامل للثقافة الإسلامية لإدراكها وامتصاصها والتكامل معها بغية تحقيق هذا الأمل في أسلمة المعارف العلمية والفلسفية.

٦) ترشيد ابتعاث أبناء المسلمين إلى الخارج

إن التوسع الهائل في ابتعاث شبابنا إلى الخارج بدون ضوابط وضمانات قد تهدر القيمة الأساسية المرجوة من ورائه. إن طلب العلم فرض واجب على كل مسلم ومسلمة والحكمة ضالة المسلم فحيث وجدها فهو أحق بها، غير أن هناك تخوفا من فتنة طلاب البعثات في البلاد الخارجية خصوصا لدى الطلاب المتخرجين حديثا من المرحلة الثانوية.

ولكي لا يهزم الهدف الأساسي لمبدأ الابتعاث يجب أن يقتصر ابتعاث الطلاب على المجالات العلمية غير المتوافرة في العالم الإسلامي، مع حسن اختيار العناصر الصالحة من الطلاب فكرا وسلوكا وعقيدة، كذلك ضرورة توفير مجالات الدراسات الإسلامية والعربية في جميع الجامعات الإسلامية والحد من إرسال البعثات إلى الخارج في مثل هذه التخصصات.

٧) تدعيم مراكز البحث العلمي

التوسع في إنشاء مراكز البحث العلمي والمعاهد والمؤسسات التعليمية الإسلامية في العالم الإسلامي وخارجه والحث على إنشاء المزيد منها بحيث تقوم هذه المراكز والمؤسسات بتحقيق حاجة العاملين في المنظمات الإسلامية مع كشف خطط أعداء الإسلام وتزويد

الحركة الإسلامية بالخطط والوسائل اللازمة لمقاومتهم.

كما أنه يجب توجيه الرسائل العلمية التي تسجل في الجامعات الإسلامية لدراسة الفكر التربوي الإسلامي والإسلام وتحديات العصر. وإذا نجحت الدول الإسلامية في إعداد الباحثين الذين يعرفون كيف يتناولون تراثنا التربوي وكيف يعالجونه وكيف يتعاملون معه، وكيف يستفيدون به، فسنكون ــ ولا شك ــ قد فتحنا الباب على مصراعيه نحو مستقبل نستطيع أن نتعامل فيه مع الأفكار التربوية الأجنبية دون ما خوف من أن ننقلها ــ كما نفعل اليوم ــ إلى نظم التعليم الإسلامية لأنها في هذه الحالة ستعرف طريقها إلى التأقلم والتكيف وفق فلسفة إسلامية تخدم مجتمعا مسلما ناهضا عرف قدر نفسه فعرف الآخرون قدره [٧، ص ٣٤٦].

المراجـــع

[١] الندوي، السيد أبو الحسن علي الحسن، *نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات للبلاد الإسلامية*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.

[٢] أقاضي، م. «أسلمة المعارف العلمية الحديثة.» *جلة المسلم المعاصر*، ع ٣٥ (رمضان ١٤٠٣هـ).

[٣] بن نبي، مالك. *دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين*. بيروت: الدار العلمية، ١٩٧٤م.

[٤] صفر، محمود محمد. *الحضارة.. تحد*. جدة: تهامة، ١٤٠٠هـ.

[٥] القرآن الكريم.

[٦] النجار، أحمد. *قضايا الفكر الإسلامي المعاصر*. الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب، ١٩٧٨م.

[٧] عبود، عبدالغني. *التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري*. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦م.

[٨] الشيباني، عمر محمد التوحي. *فلسفة التربية*. طرابلس: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٧٥م.

[٩] قطب، محمد. *منهج التربية الإسلامية*. القاهرة: دار الفكر، د.ت.

[١٠] «الندوة الإسلامية العاشرة، التربية والتعليم في الإسلام، اللجنة الثقافية القومية التونسية، القيروان، تونس ٤/٣/١٤٠٤هـ،» *جريدة الجزيرة*، العدد ٤١٣١، ١٧/٤/١٤٠٤هـ.

[١١] العميل، محمد. «نواحي النقص في مناهج التعليم وصلتها في اعداد الشباب.» *قضايا الفكر الإسلامي المعاصر*، الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٧٨م.

[١٢] النجار، زغلوب راغب محمد. *أزمة التعليم المعاصر*. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ.

Our Curriculum and Islamic Education

Mohammed Othman Kashmeeri
Assistant Professor, Department of Education
College of Education, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstact. The Islamic world has its own educational system, unique in its nature and quality. Islamic education should maintain the principles of Islam which would lead it to fulfill the needs and philosophy of Muslims. If the Islamic educational system does not take these principles into consideration, this would guide the society in the wrong direction by changing the aims and goals of the Islamic teachings. Islamic belief, thoughts and philosophy are considered to be the cornerstone in the Islamic educational system. Unfortunately, the majority of the Muslim world was colonized and overrun for a long period of time, by different outside powers. Usually, the occupiers tried to spread their ideas and philosophy through the educational system.

In this article, the researcher discusses the Islamic educational system, showing its advantages. He will discuss the Western educational system and its influence over society and how it affects the educational system as a whole. The researcher will summarize the effectiveness and accuracy of the Islamic educational system for the Muslim people. He suggests the following ideas which would comply with the Islamic curriculum: consideration of Qur'an; consideration of Al-Hadith and Islamic history; consideration of the Arabic language; training teachers; avoid imitating non-Islamic systems; establishing research centers.